حينما يتعلّق الأمر بالحسين (عليه السلام) فالأمر مختلف، فكل ما يتعلّق بالحسين سرٌّ عجيب، ولا نستغرب حيرة الناظرين والمتأمّلين وكلّ من زاويته التي يختصّ بها، فعلى سبيل المثال نجد أنّ الخلود سمة اتّصف به كلّ من كان في ركبه (عليه السلام)، فمهما طال الزمان فالحسين مخلّدٌ، وعلى الرغم من اندراس قبره وقبور أصحابه عشرات المرات على أيدي الظالمين وفي مختلف العصور المتعاقبة إلّا أنها تعود وضّاءة أكثر من ذي قبل بعد ذلك، وتعود القصص والعبر وكأنها تولد من جديد، ويتأثّر بها العباد ولاسيما المؤمنون ويتفاعلون معها على أنّها كانت الساعة؛ ليكون الأمر كما قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (إنَّ لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدًا)، ولتكون مسيرة الخلود متّصلة.

إن الخلود في ساحة الحسين فنٌّ عجيب، والأمر ليس متعلّقًا بمن كان معه؛ بل تعدّاه إلى كلّ من كان مخلصًا في نيّته؛ ليكون مع الحسين (عليه السلام) إلّا أنه حال بينه وبين الحسين (عليه السلام) حائلٌ. فنجد أم البنين (عليها السلام) خالدة وبين يديها الكرامات تتسارع؛ لأنّها خطّت لنفسها سجلًا حافلًا مع الحسين (عليه السلام)؛ ليس لأنها قدّمت أبناءها الأربعة شهداء؛ بل لأنّها كانت مع الحسين (عليه السلام) قلبًا صادقًا متواضعًا وتقدّمه على أبنائها بوصفه الحجّة لله تعالى، وكونه وديعة الزهراء (عليها السلام).

من المهمّ أن ندرك أن الأمر ليس مقتصرًا على سرِّ الخلود فحسب؛ بل جميع القوانين مع الحسين مختلفة. فاليوم نقف في زاوية قوانين الصحّة مبهوتين، فكما هو معلوم أن فايروس كورونا عطّل الحياة في مختلف جوانبها، والدول العظمى بكل ما أوتيت من الإمكانيّات الطبّيّة عاجزة عن تحديد انتشار الفايروس، ولا يجدون أفضل من العزلة ومنع الاختلاط وفكّ الزحامات؛ لتجنب هذا الوباء والبلاء، أمّا الأمر مع الحسين فمختلف تمامًا

فبعد أن توقّفت مسيرة الحجّاج إلى بيت الله تعالى رعاية للوضع والظرف تزاحم الناس على أبواب الحسين (عليه السلام)، ففي عاشوراء كانت المفاجآت متوالية وتوقّعنا انتشارًا كبيرًا للفايروس في وسط الزوّار الذين ضربوا قوانين الصحّة عرض الحائط ولم تمنعهم التوجيهات ولا التوصيات وإن كانت كثيرة؛ ليس لأنهم لا يسمعون؛ بل لأنهم يشعرون بأنّ مع الحسين أمانٌ لا ضرر فيه.

واليوم تشهد كربلاء في زيارة الأربعين حضورًا كبيرًا ولافتًا للنظر في ظلّ التوقّعات بازدياد عدد الإصابات؛ ولكنّ الأمر مختلف، ففي هذه الأيام على عكس الأيام السابقة نشهد انخفاضًا ملحوظًا في عدد الإصابات، على الرغم من ملايين الزوّار الذين قصدوا كربلاء، وهذا يستلزم دراسة الأمر من جوانب متعددة، وإن كنت موقنًا بأنّ الفايروس أيضًا مأمور، ولا أستغرب ابتعاده عن الزوّار كرامة لسيد الشهداء، ولتبقى كربلاء قبلة للسائرين على الرغم من التحدّيات المتجدّدة، وليبقى الأمر سرًّا حينما يتعلق بالحسين (عليه السلام).